

"يا رب، أجعل مني أداة لسلامك"

القديس فرنسيس الأسيزي

المقدمة: إخوتي وأخواتي الأعزاء، أود أن أركز في هذه المداخلة المتواضعة على موضوع الإنسان وحقوقه وحرية، كونه يُعدّ أساس كل قيمة ومبدأ وفضيلة، وألخ.

الخبرة الشخصية: منذ ولادتي حتى هذا اليوم ووطني (العراق) في حالة حرب مستمرة. وقد دُمر العراق بالكامل من جراء سلسلة من حروب متتالية، ونتيجة ذلك وقع الآلاف من الضحايا، منهم رجال ونساء مثلنا، بدون أي ذنب: قُتلوا، جُرحوا، سُجنوا، أُخْتُفوا، قُطعت رقابهم، أُحرقوا، دُفِنوا أحياءاً، مُزقوا قطعاً من وراء تلك التفجيرات والهجمات الإنتحارية: نساءً تعرضن للإغتصاب، وسجناء تعرضوا لسوء المعاملة.

كوني عراقياً، بجانب الوضعية العامة المضطربة والأحداث المروعة التي عاينتها وعشتها، فقدت الكثير من الأشخاص الأعزاء الذين قُتلوا في الحروب والهجمات والتفجيرات. فقدت مجموعة من الأقارب والأصدقاء وأساتذة كهنة درسوني، وكهنة زملائي في المسيرة الدراسية.

كل العراقيين يتألمون:

بيكيني رؤية:

- وطني منقسماً، وفي حالة حرب، وفيه الكل ضد الكل. في كل يوم ضحايا جدد بسبب الكره والانانية.
- أطفال ضحايا حروب مقيتة، وأحياناً ضحايا تعاليم تهيئهم ليصبحوا أرهابيين وأنتحاريين.
- كنيسة العراق مضطهدة وعلى حافة الزوال وأبنائها ضحايا "إبادة جماعية" حقيقة.
- الأقلية اليزيدية مضطهدة؛ حيث تمّ خطف حوالي خمسة آلاف امرأة يزيديّة، ويتم معاملتهن كخادمات وسبايا وبضائع يتم بيعهن في الأسواق العامة، ومصير أخوتهنّ وأبائهنّ وأزواجهنّ كان الموت المحتوم، لا بل دفن البعض من هؤلاء الرجال أحياءاً. إنهم فعلاً يتعرضون لإبادة جماعية ايضاً.
- اليهود العراقيين مطرودين من وطنهم، ومعابدهم القديمة جداً مهجورة ومتروكة.
- الأكراد يتألمون حتى اليوم، بعد كل ما عانوه من التمييز العنصري، وتدميرهم وفناءهم بالأسلحة الكيماوية. ها هم الان يقاتل شبابهم الشجعان الداعش، ويضحون بأنفسهم في سبيل الوطن.
- السنة العرب وهم ضحايا التمييز العنصري. الكثير منهم غدوا إما سجناء في مناطقهم، أو نازحون بسبب الحرب والإرهاب، أو مقتولون بسبب الإنتقام.
- الشيعة، وهم أيضاً ضحايا التمييز العنصري. الكثير من شبابهم قُتلوا ودفنوا في مقابر جماعية، آخرها "مجزرة سبايكر" حيث دُفِنَ ألف شاب شيعي، بعد قتلهم من قبل عناصر داعش. إضافة إلى ضحايا الهجمات اليومية ضد المواطنين من الطائفة الشيعية.
- بيكيني رؤية إخوتي في الإنسانية والوطن - السنة والشيعة والکرد والعرب والمسيحيين والمندائيين واليزيديين والتركمانيين والشبك والكلدان والأشوريين والسريان والأرمنيين، وألخ - منقسمين، وفي الوقت عينه متحدّين في كونهم ضحايا الصراعات.

يُقال، أنه لا أحد ينتصر في الحرب. لكن في حالة الحروب في العراق، لا فقط لم ولن ينتصر أحد، وإنما الكل أصبح ضحية الكره والتمييز العنصري والهجمات والعنف الأعمى والفقر والفساد، وألخ.

مسؤولية الأديان: أمام الحالة المأساوية التي يمر بها وطننا الحبيب (العراق)، تقع على عاتق الأديان مسؤولية كبيرة جداً. لأن غاية الأديان هي خيرُ الإنسانية جمعاء. ولهذا، ينبغي أن يكون هنالك وفاق وإتفاق فيما بينها، كما من الواجب أن يتعاونوا ويتنافسوا في خدمة الإنسان ويضمنوا له: حاجاته الأساسية ونموه ونضوجه ورفاهيته وروحانيته، وخصوصاً ضمان وتعميم السلام بين الكل ولخير الكل. ومبدأ "الحوار بين الأديان" يجب أن ينطلق قبل كل شيء من موضوع الإنسان وتأمين حقوقه الأساسية وتحقيق حرّيته المقدسة. بالحقيقة، من دون ضمان الحرية الدينية للجميع، فإن الحوار بين الأديان، حسب رأبي، يبقى دون معنى أو مبنى.

البحث عن الحقيقة: إن أسباب إحتقار الآخر في الكثير من الأحيان مصدرها إعتقاد المرء بإمتلاكه الحقيقة، وإتهامه للآخرين بأنهم ضالين. بينما نعلم جميعاً أن الله وحده هو الحقيقة، ونحن لسنا إلا خليقته الفقيرة. وعليه لو إمتلكنا كل الحقيقة، لأمتلكنا الله وجعلناه تحت سيطرتنا. وإذا كان هذا الحال، لم يعد الله بعد الله كونه أصبح مُلكاً لخليقته. وهذا مستحيلٌ. الله أكبر منا. صحيح أن الله يكشف عن ذاته، لكن يبقى هذا الكشف مشروط بمحدوديتنا وبلغاتنا وكلماتنا الفقيرة وثقافتنا والسياقات التاريخية والإجتماعية، وألخ. ولهذا من الضروري القيام بدراسة علمية وتفسيرية للنصوص المقدسة، منطلقين من مبدأ إستحالة سجن الله في آية واحدة أو كتاب مقدس واحد أو كل الكتب المقدسة. ولهذا الدراسة العلمية للنصوص المقدسة تساعدنا على إكتشاف الرسالة الحقيقة لهذه النصوص بحيث تُعيننا على تعميق إيماننا بالله خالقنا ومحبة أخوتنا في البشرية.

لا يوجد أحد كامل. وهذا يستدعي التمسك بالتواضع اثناء البحث عن الحقيقة بجانب الحرية، والوحدة مع الكل للحصول على رؤية متكاملة. والحقيقة ذاتها ينبغي أن تكون في خدمة الإنسانية وكل الخليقة، وإلا بقيت حقيقة عقيمة. على أية حال، كلما سعى المرء وراء البحث عن الحقيقة، كلما اكتشف محدوديته وعيوبه. وحينما أترف بعيوبي ومحدوديتي، يغدو "الآخر" المختلف عني غنى لي وأحد مصادر الحقيقة. وبالتالي، الآخر المختلف عني ينبغي إعتباره عوناً بدلاً من مُهدد، وصديقاً بدلاً من عدو.

بالحقيقة، مع وجود الكثير من الأديان يتطلب تعاون صادق فيما بينها، كما يتطلب أيضاً منافسة شريفة بينها في سبيل خدمة الإنسانية. وهكذا الإنسان - كل إنسان - بكامل حرّيته وإدراكه حينما يرى الأعمال والنيات الصالحة، ليس فقط العقائد والخطب الرنانة، يستطيع الإختيار بحرية تامة الدين الذي يقنع به أكثر. وأمر إختيار المرء لدينه، لا ينبغي أن يزجج أحد، لأن الأديان هي في خدمة الإنسان، وينبغي أن تحترم حرّيته وحقوقه والتي هي أجمل هبة من الله له.

عيوبنا: يقول تولستوي: "الكل يفكر بتغيير العالم، لكن لا أحد يفكر بتغيير نفسه". فعلاً لصحيح هذا القول، حيث دائماً نتهم الآخرين بأنهم السبب الرئيسي لتدمير وطننا العراق. إلى حدٍ ما أتفق أنا أيضاً مع هذا الرأي، لكن ينبغي أيضاً الاعتراف بخطايانا وعيوبنا، وإلا لن نتحسن أبداً. من نحن كي نحاكم وندين، لا بل حتى نقتل الآخرين؟ لا يوجد أحد منا بلا خطيئة، ولا واحد منا يعيش إيمانه بشكل كامل، مطبقاً كل الوصايا والشرائع. ولهذا قبل أن نحكم على الآخرين ينبغي أن نحكم أنفسنا، وقبل أن نعلن الحرب المقدسة أو الجهاد ضد الآخرين، ينبغي أن نعلنها ضد أفكارنا الشريرة الساكنة داخل قلوبنا. إذا رغبتنا بإستتباب السلام في العالم، ينبغي أن نبدأ من أنفسنا، طالبين نعمة السلام في قلوبنا.

الأديان والمؤسسات الحكومية: ينبغي أن تكون الأديان وممثلها من المدافعين عن الإنسان وحقوقه وحرية وكرامته. ولهذا للأديان مهمة مراقبة أداء الحكومات، كي لا تقع هذه الأخيرة في الفساد. لكن إذا تدخلت الأديان بشكل رسمي في السياسة، لن تستطيع تجنب التدخل في الصراعات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وألخ. وهذا يجعلها بالنتيجة شريكة الفساد الذي يدمر الإنسانية، ويفقد مصداقية الأديان أيضاً.

هنالك أيضاً مسألة الأقليات، فحينما نكون أقلية نطالب بحقوقنا، لكن حينما نصبح أكثرية لا نضمن ولا نحترم حقوق الأقليات التي تعيش معنا. وبالطبع هذا ليس من العدل.

من الواضح بأن المؤسسات الحكومية في العراق لديها مسؤولية كبيرة. وللتخلص من دوامة العنف الأعمى الذي يؤدي الجميع في العراق وبالأخص الأبرياء والضعفاء والفقراء والأقليات، أعتقد بأنه من الضروري البدء ببعض الخطوات الأساسية نحو احترام حقوق الإنسان. من بين هذه الخطوات أود أن أذكر:

- الضرورة الملحة لتحرير المناطق التي لاتزال تحت حكم سرطان داعش، والعمل على رجوع النازحين إلى أراضيهم، ومساعدتهم على البدء من جديد، وخاصة ضمان الأمن للكل، وتشجيع المبادرات التي تصب في صالح العيش المشترك، وتزيد الثقة ما بين مختلف مكونات المجتمع العراقي.

- تنظيف الوطن من سرطان الفساد.

- إعطاء الأولوية لتشكيل دولة مدنية تضمن الحرية وخاصة الحرية الدينية، وتركز على ما يوحد العراقيين مثل الإنسانية والوطن.

- عدم تشكيل مؤسسات حكومية على أسس طائفية ودينية، وإنما على أناس كفوءين بإستطاعتهم قيادة البلد.

- إلغاء عقوبة الإعدام.

- إيقاف إستيراد الأسلحة.

- إستخدام جميع الموارد في خدمة الإنسان ووحدة الدولة ونموها. العراق بيتنا، فإذا فقدناه، ماذا نفقدنا الأثاث!

- تعزيز الجانب الإنساني في المجتمع، ومساعدة لا بل مكافئة من يدافع عن حقوق الإنسان الأساسية وحرية المواطنين.

لى حلم: حلمي أن أرى عراقاً في حالة السلام؛ عراقاً موحداً ومستقراً ومتطوراً ومنتجاً ومحامياً لإرثه ذو الثقافات والديانات والطوائف المتعددة.

الشكر: في الختام، أود أن أشكر كل العراقيين ذوي الإرادة الصالحة الذين يعملون من أجل خير البلاد من ضمنهم السلطات الحكومية والممثلين عن مختلف الديانات والطوائف وخاصة من الذين يقدمون المساعدات لضحايا الصراعات، وبالأخص ضحايا داعش. وبما أن الجزء الأكبر من النازحين العرب والمسيحيين واليزيديين والتركمان والشبك والسوريين تم إستقبالهم في إقليم كردستان العراق، شكر خاص يقدم لحكومة وشعب كردستان العراق على هذه المبادرة الأخوية والتضامنية.

لا ننسى الصلاة عن راحة أنفس الجنود الذين ضحوا بحياتهم من أجل العراق. نصلي أيضاً من أجل الجرحى. وتحية قلبية وشكر خاص لكل الذين لا يزالون يقاتلون في الجبهة ضد أعداء العراق.

الشكر لكل الدول والأشخاص الذين يعبرون عن قربهم من الشعب العراقي. الشكر لجماعة القديس ايجيديو الذين نظموا هذا اللقاء، والإخوة الفرنسيين الذين يستضيفونه. الشكر لأبنا فرنسيس لمحبته ومؤازرته وصلواته وقربه من الشعب العراقي.

الشكر لله على كل شيء.

السلام والخير للعراق وللعالم بأسره - أمين.

الأب ريبوار عوديش باسه
(الكنيسة الكلدانية / العراق)
أسيزي / ١٨ - ٢٠ أيلول ٢٠١٦